# المنهج البنيوي

*** تعريف مصطلح البنية:**

لقد ظهر هذا المصطلح في البداية مع الدراسات اللسانية الحديثة، وعرّف يمسليف (Yelmslev) اللسانيات البنيوية بقوله:« نعني مجموعة من البحوث التي تصف اللغة باعتبارها كياناً مستقلاً من العلاقات الداخلية أو قلّ في كلمة إنها بنية..». وهي تحدد الظاهرة اللغوية، أنها لا تكمن في واقعها الفيزيائي، وإنما تكمن في الدور الذي يقوم داخل النظام اللغوي، وذلك ما يسمى بالسمة التمييزية.

فالبنية نسق (النسق في اللغة هو ما كان على نظام واحد من كل شيء، والنسق عند البنيويين نظام ينطوي على استقلال ذاتي) من العلاقات الباطنية، له قوانينه الخاصة المنبثقة عن كونه نسقاً يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي.

يقدّم جان بياجيه تعريفاً للبنية ويضع لها خصائص ثلاث يراها متوفرة في معظم ما يمكن أن نطلق عليه بنية بالمعنى الاصطلاحي الدقيق. فالبنية عنده نسق من التحوّلات، له (قوانينه الخاصة) باعتباره نسقاً. هذا النسق يظل قائماً ويزداد ثراء بفضل هذه التحوّلات نفسها التي لا تخرج عن حدود النسق، ولا تستعين بعناصر خارجة عنه. وإنّ البنية تكتفي بذاتها ولا تتطلب لإدراكها اللجوء إلى أيّ العناصر الغريبة عن طبيعتها.

تتميّز البنية بخصائص ثلاث هي:

أ – **الكلية أو الشمول:** وتعني هذه السمة خضوع العناصر التي تشكّل البنية لقوانين تميّز المجموعة كمجموعة أو الكل ككل واحد.

ب – **التحوّل:** وتعني أنّ "الكل البنائي" ينطوي على دينامية ذاتية أو حركية ذاتية، وهذه الدينامية تتألف من سلسلة من التغيّرات الباطنة بمعنى أنها تغيّرات تحدث داخل النسق أو النظام، وتنبع منه. وهذه السمة تعبّر عن حقيقة هامة في البنيوية، وهي أنّ البنية لا يمكن لها أن تظلّ في حالة سكون مطلق، بل هي دائماً تقبل من التغيّرات ما يتفق مع الحاجات المحددة من قِبَل علاقات النسق أو تعارضاته.

ج – **التنظيم الذاتي:** ويعني التنظيم الذاتي أنّ البنية في وسعها تنظيم نفسها بنفسها، فهي التي تضبط نفسها بنفسها، لأمر الذي يحفظ عليها وحدتها، ويكفل لها المحافظة على بقائها. ورغم أنّ البنية منغلقة

على ذاتها، إلاّ أنّ هذا الانغلاق لا يمنع البنية من أن تندرج ضمن بنية أخرى أوسع منها، دون أن تفقد خواصها الذاتية، إنّ البنية على الدوام تحاول أن تضمن لنفسها من الخواص ما يحافظ على ذاتيتها، ويضمن لها ضرباً من الاستمرار.

*** مبادئ الفكر البنيوي وبعدها اللساني:**

لقد قدمت اللسانيات أسساً ومعايير ونموذجا للمنهج البنيوي في حقل الدراسات الأدبية. ومن هنا لا يمكن الإحاطة بجوهر البنيوية دون فهم عميق لأسسها ومرجعياتها التي تعود فيها إلى أسس اللسانيات.

أ – معنى عنصر ما لا يتحدد إلاّ في ضوء قواعد النظام الذي ينتمي إليه هذا العنصر. فالعنصر أو الفعل أو الظاهرة لا تحمل معنى في ذاتها، وإنما تحمل معنى في ظل النظام الرمزي الذي تنتمي إليه، إنّ المعنى لا يعرف إلاّ في ظل نظام من القواعد المعترف بها من قبل الجماعة. وعلى هذا لا يبدو معنى وحدة ما في النص إلاّ في إطار النظام الذي توضع فيه.

ب – معنى عنصر ما لا يتحدد إلاّ بعلاقته الخلافية أو التعارضية (opposition) مع بقية عناصر النظام. ترى البنيوية أنّ العناصر أو أجزاء النظام ليست كينونات مستقلة، لها ماهيتها ومعناها في ذاتها، وإنها العناصر أو أجزاء النظام في ضوء البنيوية هي كيانات لا تكتسب هويته إلاّ من خلال اختلافها عن سائر عناصر النظام. فالحرف (س) لا يكتسب هويته إلاّ من خلال اختلافه عن (ش).

ج – الاهتمام بالاعتبارات الآنية بالقياس إلى الاعتبارات التاريخية. أخذت البنيوية بالمبدأ اللساني الذي يقوم على الدراسة الآنية في دراستها للغة في مقابل صفة التاريخية. ومن هنا نُظِر إلى الأدب كظاهرة آنية تُنتَج تؤلف وتستقبل في لحظة بعينها، وفي سياق بعينه. إنّ الهام هو دراسة النظام أو النسق من حيث مكوّناته وعلاقاته.

**7/البنيوية ومصطلح الخطاب**

**ما معنى البنيوية ؟**

ومن خصائص الدراسة البنيوية أن يُعتمد على التحليل المحايث، و"المحايثة" « وهي من أهم سمات البنيوية ومعناها في عُرْف المدارس البنيوية أنّ النص – أو الملفوظ – لا يحلل إلاّ انطلاقاً من

خواصه الداحلية، فهذه الخواص هي التي تمكّن من تحديد الملفوظ باعتباره بنية مغلقة من شأنها أن توصف من حيث هي، بقطع النظر عن كل سيرورة تاريخية.

ومعنى ذلك، أنّ الملفوظ، أو النص لا يمكن وصفه انطلاقاً من الدوافع النفسية، أو الاجتماعية، أو السياسية التي دفعت بالمتكلم إلى إنتاج هذا الملفوظ، ولا انطلاقاً من الظروف والسياقات التي أحاطت به ».

ويقول "جان بياجيه":« إن البنية تكتفي بذاتها ولا تتطلب لإدراكها اللجوء إلى أيّ العناصر الغريبة عن طبيعتها ».

*** البنيوية وتعريف الخطاب:**

*** جيرار جينيت:** وفي تعريفه للبنيوية أو البويطيقا(poétique)، يؤكد على أنها هي:« النظرية العامة للأشكال الأدبية ». والشكل الأدبي، هنا، ليس إلا الخصائص النوعية للأدب، وهذه الخصائص لا يمكن البحث عنها إلا من خلال **الخطاب** ».

*** تودوروف:** يقول:« ليس العمل الأدبي في ذاته هو موضوع البويطيقا (البنيوية)، إذ ما تبحث عنه البويطيقا هو خصائص هذا الكتاب الخاص الذي هو الخطاب الأدبي »(أُنظر كتاب الشعرية poétique ص 26 – 27).

وفي دراسته الهامة« مقولات السرد الأدبي » في العدد الثامن من تواصلات، ينطلق تودوروف من تمييز توماشفسكي بين المتن والمبنى، فيؤكد بدءاً أنّ لكل حكي أدبي مظهرين متكاملين، إنه في آن واحد قصة وخطاب.

* إنّ "**القصة**" (histoire): تعني الأحداث في ترابطها وتسسلها، وفي علاقاتها بالشخصيات في فعلها وتفاعلها.

* و"**الخطاب**" (discours): يظهر لنا من خلال وجود الراوي الذي يقوم بتقديم القصة. وما يهمنا ليس القصة بل الطريقة التي بواسطتها يجعلنا السارد نتعرّف على تلك الأحداث (الخطاب).

ويقول تودوروف في هذا الشأن:« للعمل الأدبي في مستواه الأعم مظهران؛ فهو قصة وخطاب في الوقت نفسه، بمعنى أنه يثير في الذهن واقعاً ما وأحداثاً قد تكون وقعت وشخصيات روائية تختلط من هذه الوجهة بشخصيات الحياة الفعلية (...) غير أنّ العمل الأدبي خطاب في الوقت نفسه، فهناك سارد يحكي القصة أمامه يوجد قارئ يدركها. وعلى هذا المستوى ليست الأحداث التي يتم نقلها هي التي تهمّ، إنما الكيفية التي بها أطلعنا الاسرد على تلك الأحداث. وقد دخل مفهوماَ القصة والخطاب دراسات اللغة بكيفية نهائية بعد صياغتهما صياغة حاسمة من طرف بنفنيست ».

مجلة آفاق/ مقولات السرد الأدبي، ص 31.

**نص للتطبيق.**

**« فلسفة موت المؤلف »**

يقول بارت« بصراحة أنّ المؤلف لا وظيفة له في العملية الإبداعية، وأنّ دوره أصبح اليوم متجاوزاً، بعد أنم تمكّنت اللسانيات من تقويضه، وذلك عندما بيّنتْ أنّ عملية القول وإصدار العبارات عملية فارغة في مجموعها. فهي لا تسند إلى شخص بذاته، وإنما هي نتاج متعدد المنابع والأصول، ساهمت فيها أياد ومنابع ثقافية متنوعة انحدرت منها دفعة واحدة أو بطريقة معقدة. وهذا يعني أن النص يولد هكذا وأنه أشبه بلغة ميتة تسربت فيها مجموعة من الاقتباسات لتكون في الأخير نسيجاً من العلامات الصمّاء التي لا تحمل أهواءً ولا مزاجاً ذاتياً ولا رؤية أو معتقداً ما دامت عبارة عن كتابة آلية، كتبها ناسخ حلّ محلّ المؤلف الذي مات ».

درس السيميولوجيا. رولان بارت

ترجمة: بنعبد العالي. ص 82، 84، 86.